

دور النشر وأهميتها في توجيه أفراد المجتمع
نحو الاعتزاز باللغة العربية

الدكتور مأمون جرار
دار المأمون للنشر والتوزيع

الخميس 8 محرم 1434هـ- الموافق 22 تشرين الثاني
2012م

إن من الظواهر الثقافية البارزة في عصرنا وجود مؤسسات تعنى بتبني الكتب وطباعتها والسعي إلى إيصالها إلى أيدي القراء، وقد أطلق على هذه المؤسسات اسم: دور النشر⁽¹⁾. وهذا الذي تقوم به دور النشر في زماننا هو ما كان يقوم به الوراقون قبل اختراع آلة الطباعة ، فقد كان الوراق يشرف على نسخ الكتب وتجليدها وتوفيرها للراغبين فيها من العلماء والطلبة وعامة الناس، ولكن مع فوارق مهمة بين الوراقة والنشر من حيث السرعة وكمية ما يتوافر من الكتب والسعر .

إن تتبع سيرة المطبعة والطباعة في تاريخنا الحديث والمعاصر وما يتبع ذلك من حديث عن نشر الكتب أمر ممتع لأنه صفحة في سفر الحضارة الإنسانية وحضارتنا المعاصرة⁽²⁾.

ولا يخفى أن حركة نشر الكتب مرتبطة بحركة التأليف، وأن التأليف يزدهر حين ينتشر التعليم، ويمكن التأريخ لحركة الفكر والعلم والثقافة من خلال النظر في السجلات (الببليوغرافية) السنوية التي تصدرها المكتبات الوطنية.

والأمم التي تحترم نفسها تجعل العناية بلغتها من أوليات اهتمامها، ومن تجليات ذلك الاهتمام بما يظهر في عالم النشر من المؤلفات في شتى العلوم والفنون والمجالات، وتكون تلك المؤلفات باللغة الوطنية في سعي لتوطين العلم ومصطلحاته لتساير هذه اللغة منجزات العصر وتكون لغة حية مواكبة للمسيرة الحضارية للإنسان.

وقد أسهمت دور النشر في مختلف البلاد العربية في خدمة التراث العربي، والفكر والعلم والأدب، ومن وراء ذلك اللغة العربية بما قدمته من منشورات.

إن نظرة شاملة على ما قدمته دور النشر العربية من خدمات جلييلة منذ دخول المطبعة إلى البلاد العربية ومنذ توجه بعض (التجار) إلى ميدان الكتب لتأسيس دور للنشر خدمة للعلم وطلبته، وخدمة لأنفسهم هم بتحقيق أرباح من هذا

المجال. إن نظرة مثل هذه تكشف عن مدى الخدمة التي قدمها الناشرون للعلم وطلوبته. ولعل باحثاً جادا ينهض إلى القيام بتأريخ حركة النشر في بلادنا العربية، وهي قصة تحتاج إلى تأريخ، ومن الممتع الوقوف على تفصيلاتها .

ويمكن أن نجمل الخدمات التي قامت بها دور النشر في مجالات أو قطاعات، أهمها:

أولاً: الإسهام في إحياء التراث العربي بنشر ما قام به المحققون في بلادنا من جهود مباركة لإخراج كنوز التراث من عالم المخطوط إلى عالم المطبوع، ويذكر في هذا المجال أن بعض دور النشر العربية قد أنشأت مكاتب تابعة لها لتحقيق المخطوطات، ونذكر هنا جهود مؤسسة الرسالة وجهود العالم المحقق الشيخ شعيب الأرنؤوط مدير مكتب التحقيق الذي أنشأته المؤسسة، ومن يراجع قائمة منشورات تلك المؤسسة يجد سلسلة طويلة عريضة من كتب التراث التي عجزت عن نشرها بعض المؤسسات الثقافية الرسمية. ولكن علينا أن نذكر في مقابل ذلك أن بعض دور النشر قد شوهت جهود عدد من المحققين حين أوكلت أمر إعادة تحقيق بعض الكتب إلى من ليس أهلاً لذلك، فعكف على كتب محققة وادعى إعادة تحقيقها، وما فعلوه هو ادعاء كاذب وإجراء للقلم بما لا يفيد في الهوامش بل بأخطاء فادحة ودعوى عريضة على غلاف الكتاب أنه بتحقيق فلان!

ثانياً: تبني مؤلفات العلماء من أساتذة الجامعات وغيرهم، ونشر ما ينتجه المؤلفون في مختلف المجالات الأدبية والعلمية والفنية، مما شجع على التأليف وأسهم في تزويد القراء وطلاب العلم بالجديد من المؤلفات المتنوعة التي تقدم العلم والأدب والفكر والثقافة.

ثالثاً: تخصص بعض دور النشر في صناعة المعجمات العربية الحديثة، ومن أشهر دور النشر العاملة في هذا المجال: دار لبنان في بيروت، وهذا المجال من المجالات المهمة في خدمة اللغة العربية لتكون مواكبة للتطور اللغوي في

زماننا، كما يذكر في هذا المجال جهود دار العلم للملايين التي تصدر معجم المورد في صورة دورية تواكب من خلالها الألفاظ الجديدة التي تدخل الاستخدام في كل عام.

رابعاً: تخصص بعض دور النشر في كتب الأطفال، وهذه خدمة جلية لارتباطها بالأجيال الناشئة ونجاح هذه الدور في مهمتها يعني إنشاء أجيال قارئة، ولكن تحقيق هذا الهدف يحتاج إلى تعاون كل من البيت والمدرسة ووسائل الإعلام ولاسيما في زمن كثرت فيه الشواغل التي تدفع الأجيال الجديدة بعيدا عن الكتاب.

مشكلات تواجه دور النشر:

حديثنا عن دور النشر هو حديث عن صناعة لها مجالاتها المحددة، وفيها من المكاسب والمنافع ما يغري بالإقبال عليها ودليل ذلك ما نراه من زيادة كبيرة في أعداد دور النشر العربية، ولها من المشكلات ما يصد عنها، ففي الوقت الذي تفتح فيه دور نشر جديدة هناك دور نشر تغلق، وفي الوقت الذي تريح بعض دور النشر هناك دور أخرى تمر بأزمات مالية وتتعرض لحالات من تضييع الحقوق أو المماثلة في أدائها. وهناك حركة "القرصنة" لبعض الكتب الرائجة التي تضيع على الناشرين أرباحا كثيرة، وهناك القرصنة المجانية التي تتجلى في نشر الكتاب كاملا على "الإنترنت" مما يجعله متاحا مباحا لكل قارئ بل لكل راغب في اقتنائه ورقيا بتيسير طباعة نسخة منه.

وكثيرا ما تسمع من الناشرين شكاوى من معارض الكتب التي ترتفع رسوم المشاركة فيها، والتي تختلف في جدواها من بلد إلى آخر، وسنة بعد أخرى يتراجع الدعم الحكومي للكتاب فيها بقلة شراء المؤسسات الحكومية منه.

وعمدة كثير من دور النشر العربية هو نشر المقررات الدراسية الجامعية، وكذلك نشر كتب التراث الإسلامي، ونشر إنتاج بعض المشهورين من المؤلفين

المعاصرين، ولكن في مقابل ذلك تجد أن هناك تراجعاً في أعداد ما ينشر من الكتب بصورة عامة، ولا تجد أمامك أرقاماً تتجاوز الألف إلا قليلاً، وقد شاعت في السنوات الأخيرة آلات الطباعة المعروفة بـ"الريزو" التي يلجأ إليها الناشر لطباعة أعداد محدودة من الكتب، ولعل من المخجل أن ينظر في أرقام طباعة بعض الكتب التي لا تتجاوز الخمسمئة نسخة بل تقل عن ذلك.

ولعلنا إذا نظرنا في إحصائيات ما يطبع من الكتب العربية وما يكون من نصيب القارئ العربي من الكتب وقارناه بما يطبع في الولايات المتحدة أو أوروبا أو اليابان نشعر بالخجل من تواضع ما ينشر عندنا. ذلك لأن القراءة ليست جزءاً من برنامجنا اليومي، ولا عادة من عاداتنا. ولعل مما يلفت نظرنا جميعاً ما نجده من (الأجانب) في المطارات في صالات الانتظار ونحن نرى كثيراً منهم وقد فتح الواحد منهم كتاباً يقرأ فيه حتى يحين موعد السفر. إن لضعف التوجه نحو الكتاب عندنا أسباباً تمتد من المنزل إلى المدرسة إلى المكتبات العامة إلى وسال الإعلام. يضاف إلى ذلك الوضع الاقتصادي لكثير من الأسر العربية مما يجعل الكتاب حاجة ثانوية لا رئيسية. هذا الأمر يؤدي إلى تواضع ما ينشر من الكتب عندنا ويكون له أثر سلبي على حركة النشر ويؤدي إلى توجه بعض الناشرين إلى نشر كتب لها رواج لكنها ليست مما يتوقف العقل أو يغذي القلب.

يضاف إلى ما سبق أن هناك حواجز وعوائق تحول دون انسياب الكتب بين البلاد العربية فكثير مما ينشر في بلاد المغرب العربي لا يجد طريقه إلى القراء في المشرق العربي⁽³⁾.

دور النشر في قفص الاتهام:

ولكننا ونحن نتحدث عما يمكن أن تسهم فيه دور النشر في خدمة اللغة العربية لابد من أن نقف على علاقة تلك الدور باللغة العربية في جانبها الإيجابي والسلبى، وأن نرى ونسمع ما يقوله من لهم ارتباط باللغة العربية وانتماء إليها، وغيره عليها، ذلك لأننا في عصر التغيرات السريعة، ووسائل الاتصال والتأثير العجيبة التي ربما لم تخطر ببال شهرزاد وهي تختزع الحكاية تلو الحكاية في لياليها الألف مع شهرين !!

وقد تأثرت لغتنا العربية بهذه الوسائل، وتأثرت بها الأجيال الجديدة من أبناء العربية. يضاف إلى ذلك حرص طبقة من الناس في مجتمعنا على إتقان أبنائهم لغات أخرى غير العربية على حسابها، فتراهم وقد بلغوا المرحلة الجامعية لا يعرفون من العربية ما يفصحون به عن مكنون أنفسهم كتابة ومحادثة، فكأنهم خواجهت بأسماء عربية !! وقد أدى هذا الواقع إلى إطلاق المخلصين الحريصين على العربية إنذارات الخطر، ودعوتهم إلى حماية العربية مما يهددها (4).

وإذا كانت دور النشر قد قدمت خدمات جليلة للعربية والناطقين بها مما ذكر آنفا فإن هناك نقدا شديدا يوجه إليها، وهناك نواقص في عملها لا تخدم العربية وأهلها.

ولعل من أهم مشكلات دور النشر العربية أنها في الأغلب الأعم لا تستند إلى المؤسسية بل تكون جهودا فردية وبإمكانات متواضعة لا تتيح لها أن تعمل وفق خطة شاملة متكاملة تخدم العلم والفكر والأدب واللغة. وقد أعجبنى تعبير سمعته من أحد الناشرين الكبار حول النشر يمثل ما يجب أن يكون عليه حال دار النشر: إن النشر بحاجة إلى مال قارون وصبر أيوب وعمر نوح !!!.

هذا إذا كنا نبحث عن نشر حقيقي يمتلك الخطة المدروسة التي تخطط للمؤلفين اتجاهات التأليف وفق الحاجات المرئية في الواقع العلمي والتعليمي

والثقافي والفكري، وتمتلك الإمكانيات التي تتيح لها تحقيق تلك الخطة، ولا يكون هدف دار النشر تحقيق الربح العاجل أو الآجل فحسب بنشر كتب تفيد أو لا تفيد بل ربما تضر.

ولنقف على حقيقة مرة يتحدث عنها الكاتب حازم عزب تجسد بعض واقع حال النشر في عالمنا العربي، وتكشف بعض عيوبه، وأنا أعلم أن هذا الحديث من الكاتب لن يروق كثيرا من الناشرين لأنه يكشف عورات لا يحب بعضهم أن ترى !!. وإن يكن في كلامه بعض المبالغة أو التصوير المثالي الساخر. قال تحت عنوان: (هل لدينا صناعة نشر؟):

"الحقيقة المرة التي أريد أن أصدم بها القارئ أنه لا توجد صناعة نشر في الوطن العربي، بل يوجد لدينا طباعون للكتب، وهيئات ودور تعيش على ميراث قديم، أو بالدفع المستمر من دعم الدولة، أو تقنات على نشر الكتاب الجامعي، أو تستغل حفنة مما تبقى من أسماء عربية لامعة في عالم الكتابة، من دون أن تخرُج أجيال جديدة"⁽⁵⁾.

وهذا الذي تحدث عنه الكاتب يكشف جانبا من الواقع المر لعالم النشر الذي يفقد الناشرين الكبار، أصحاب المشروع الفكري المرتبط بنهضة الأمة، وهو يحتاج إلى رؤية وقدرة، والمشكلة الكبيرة في هذا المجال هي وجود أحد العنصرين وغياب الآخر !!.

ولا يقتصر الأمر على هذه القضية المهمة التي أشار إليها الكاتب بل نحن أمام مظاهر ناشئة عنها تؤدي إلى آثار سلبية لا في عالم النشر وحده بل على المستوى الفكري والثقافي من خلال ما يقدمه بعض الناشرين الذين يهتمهم الربح ولو كان على حساب القيم، ولنتابع ما يقوله حازم عزب:

"حقيقة الأمر أنه لا يوجد ناشر يحمل هذه الصفة بصدق سوى عدد قليل من دور النشر، وغير ذلك ناشرون ينشرون من دون خطط مسبقة، ومن دون وعي بما ينشرون ولماذا ينشرون سوى المكسب المادي الذي إن قل تسارعوا للشكوى من ركود صناعتهم؛ لأن بضاعتهم لا إقبال عليها من الجمهور. هذه إحدى الدور التي تنتشر ما يعرف بالكتاب الإسلامي، فإذا ركد تتحول فجأة ومن دون مقدمات لنشر كتب عن الزينة والجمال والتخسيس والمطبخ وإصلاح السيارات، بل ترى إحدى الهيئات المختصة بنشر الكتب أن تنشر مقالات لا تُقرأ لصحافي أو صحافية من باب المجاملة في هيئة كتاب، ليحصل على حفنة من الأموال، ليتحول بعدها بوق دعاية لهذه الهيئة. بل نرى طامة كبرى حين تُهدَر أموال طائلة في موسوعات كل ما فيها من معلومات تقادم عليها الزمن، وليقع كل من اشتراها في مطب معلومات تغيرت وتوارىخ لم تعد صحيحة، بل نرى إحدى دور النشر تستجدي دولة خليجية بطبع مطبوعات تروج لسياساتها. عجباً إذاً حين نرى ناشراً يتعرض لمؤلف بإذلاله لكي ينشر له كتاباً، بل يدفعه لكي يشاركه في تكاليف طباعته. بعد كل هذا هل ما زال لدى القارئ شك أن لدينا صناعة نشر؟"⁽⁶⁾.

هذه الظاهرة التي تحدث عنها الكاتب حقيقة ملموسة في عالم النشر، فبعض الناشرين يبحث عن الرائج من الكتب فينتجه إلى طباعته ولو كان بين ما ينشره تناقض واضح، والطامة الكبرى على المستوى المعلوماتي ظاهرة مؤسفة هي تقديم كتب فارغة المضمون أو زائفة تحت مسميات براقية. وأتحدث هنا عن خبرة شخصية غير منقولة عن غيري، فقد جاءني شاب ومعه كتاب في مجال الفن وعرض أن أشتري منه حقوق الكتاب بمئة دولار أمريكي !! وسألته عن اختصاصه فإذا هو (مؤلف موسوعي) يكتب في كل شيء !! ويكتفي بالقليل من

المردود المالي لقاء مؤلفاته التي تبلغ المئات !! وعلمت منه أن بعض دور النشر تشتري منه تلك المؤلفات وتنتشرها منسوبة إلى آخرين، بعضهم حقيقي والآخر وهمي، بل قال إنه ألف كتابا طبع على أنه لمؤلف أمريكي ترجمه إلى العربية أستاذ في إحدى الجامعات !! بل إنه عرض علي كتابا موضوعه: تعلم اللغة الصينية من غير معلم، وسألته: هل تعرف الصينية ؟ قال: لا، قلت: فكيف ألفت هذا الكتاب ؟ قال: ألفتة نسخا ولصقا من "الإنترنت". وهكذا حاله مع مؤلفاته كلها، ف"الإنترنت" بحر من المعلومات يتيح لمن "يحسن !!!" التعامل معه المجال ليصبح سيوطي العصر !!!.

والمشكلة الكبيرة هنا هي أن يجد هذا المؤلف من يقبل كتبه وينشرها بأسماء مختلفة مقابل ثمن بخس دولارات معدودة !! بل حدثني هذا المؤلف أنه أعد لإحدى دور النشر سلسلة من كتب الطب البديل نشرت باسم عشاب مشهور!.

ومثل هذا المؤلف الموسوعي كثير من المؤلفين المستأجرين الذين يؤلفون في كل شيء، بل يؤلفون موسوعات مستخلصة من "الإنترنت" الله أعلم بصدق محتوياتها، وتنتشر تلك الموسوعات بعناوين براقعة من دور لها اسم في عالم النشر، إلا أن كثيرا مما تنتشره هو إلى الزيد أقرب منه إلى ما ينفع الناس .

إن دار النشر التي تتبنى مثل هذا المؤلف وتستغله لتقديم بضاعة فاسدة في عالم النشر تسيء إساءات بالغة إلى العلم والفكر واللغة العربية التي هي الوعاء الحاضن لما ينشر .

الكتب المنشورة والأخطاء اللغوية:

من المشكلات التي يعاني منها الكتاب العربي المنشور وجود أخطاء نحوية وصرفية وإملائية، وسبب ذلك راجع إلى أكثر من أمر، منها: أن بعض المؤلفين ضعاف في اللغة لا يحسنون التأليف السليم الخالي من الأخطاء، وفي بعض الأحيان يقع الناشر ضحية المؤلف في هذا المجال حين يتوقع أنه متقن للغة ولا يطلب من الناشر إحالة الكتاب إلى مدقق لغوي، وإن كان بعض المؤلفين يقرن بضعفهم وبطلبون مراجعة ما كتبوه لغويا. وفي بعض الأحيان تفوت المراجع اللغوي بعض الأخطاء، و لا يخفى كذلك أن أي جهد يبذل في إعداد الكتاب يرفع من كلفته ويرفع من سعره. وقد لفتت الأخطاء اللغوية نظر كثير من القراء لكتبتنا العربية، ومن ذلك ما تحدث عنه الأستاذ فخري صالح عن أخطاء فادحة في روايات قدمها أصحابها لنيل جائزة أدبية(!!) ولا يخفى أن ما يقدم إلى الجوائز لا بد أن يعتنى به لأنه يعرض على لجان لتقويمه. وقد جاء كلامه تحت عنوان: "كارثة اللغة العربية": "جأرت لجنة تحكيم الجائزة العالمية للرواية العربية المعروفة بـ"البوكر العربية" مؤخرا بالشكوى من كثرة الأخطاء اللغوية التي صادفتها لجنة التحكيم في الروايات التي تقدمت لنيل الجائزة هذا العام. وأنحى رئيس اللجنة الناقد والباحث والمترجم العربي المخضرم جورج طرابيشي باللائمة على دور النشر التي لا تهتم بصورة الكتاب النهائية وتسلمه للمطبعة دون أن تمرره على مصحح لغوي يخلصه من أغلظه الفاحشة" (7).

وهذه الظاهرة التي تحدث عنها الكاتب تخص المؤلف والناشر معا، ولو سألناهما لأنحى كل واحد باللائمة على الآخر، وإن كان الكاتب، وأنا معه، يرى أن تلاقي ذلك القصور وإيقاف هذه الكارثة اللغوية من مسؤولية الناشر الذي سيلام كما يلام المؤلف. والأمر كما يقول فخري صالح ليس مقتصرًا على الروايات المقدمة إلى الجائزة بل هي أعم من ذلك: " المشكلة أكبر بكثير من أخطاء

الروايات التي تقدمت لنيل جائزة البوكر العربية، وأعظم من تقاعس دور النشر عن تعيين مصحح لغوي يصلح ما أفسده الكتاب الذين لا يحسنون الكتابة بلغتهم الأم! إنها مشكلة انحطاط التعليم في الوطن العربي، وضعف التعليم اللغوي في المراحل الأساسية والثانوية والجامعات. وهي أمور تحتاج إلى وقفات وبرامج لتطوير التعليم، وإعادة نظر في مستوى تأهيل المعلمين وتدريبهم بحيث يصلح ما أفسدته الإدارات التعليمية التي وصلت إلى مواقعها لأسباب لا تتصل بالكفاءة والألمعية " (8).

إن ما تحدث عنه الكاتب حقيقة ملموسة نجدها لدى كثير من المتعلمين والمعلمين وحملة الشهادات العليا الذين قد لا يحسن أحدهم كتابة صفحة واحدة خالية من الأخطاء اللغوية والإملائية، ولا يخفى أن ذلك نتاج ما تلقاه المؤلفون والكتاب في المدارس. وكما تلام دور النشر تلام المؤسسات التعليمية، ولكن تبقى مسؤولية دار النشر أن تتلافى القصور وتصلح الخلل.

دور النشر واللهجات العامية:

من الظواهر السلبية التي تلفت النظر في عالم النشر اتجاه بعض دور النشر إلى إصدار كتب بالعامية، لا في مجال الشعر الشعبي وحده بل في مجالات متعددة، وكأن ذلك اعتراف من دور النشر بالعامية وسيلة للتعبير في مجالات الحياة المعاصرة لتكون منافسا للعربية الفصيحة. وقد بحث "محمود أبو بكر" هذه الظاهرة في عالم النشر في دراسة له تحت عنوان: "بيزنس العامية.. دور النشر تريح واللغة العربية تخسر" ولئن تحفظ متحفظ على العنوان لاستخدام الكاتب لفظة أجنبية "بيزنس" فإن هذا الاستعمال يحمل مرارة بحجم الواقع الذي يتحدث عنه.

قال في افتتاح الكلام عن هذه الظاهرة: "الظاهرة تبدو ملفتة إلى حد كبير، وتشي أن هناك "بيزنسا" خاصا أصبح قائما على الكتابة بالعامية التي امتدت إلى

التلفاز أيضا، ذلك البيزنس وإن كان امتدادا لظاهرة الشعر العامي إلا أنه تقدم بجرأة من عالم المدونات، والكتابة الشبابية الساخرة صوب الورق؛ حيث الكتاب المطبوع عبر بوابات الشعر العامي، وزاد عليها الأدب الساخر الذي يتحرر كليا من اللغة الفصحى.

ورغم أن مبيعات كتاب العربية الفصحى أمثال: فاروق جويده، وبهاء طاهر، ويوسف زيدان، وغيرهم في تقدم، فإن المراقب يجد كتبا أخرى تنتمي للشعر العامي، والأدب الساخر المكتوب بالعامية تحقق مبيعات أعلى وانتشارا أكبر، فعدد طبعات بعض الكتب العامية تجاوز الـ 8 طبعات.⁽⁹⁾

وما يلفت النظر أن دور نشر كبيرة ذات عراقة في عالم النشر انسأقت إلى نشر الكتب بالعامية، ويبدو أن هذه الكتب قد حققت أرباحا تعري دور النشر بالاستمرار في هذا المجال مع سعي إلى إخفاء أرقام مبيعاتها:

"ومن داخل منافذ بيع دار الشروق ومكتبة مدبولي، وكلاهما يقعان وسط القاهرة، رفضتا تزويدنا بمعلومات عن حجم مبيعات كتاب العامية والأدب الساخر؛ بحجة عدم توافره حاليا في هذه المنافذ، إلا أنهم في نفس الوقت أكدوا أن حجم مبيعات كتب العامية، سواء كانت أدبا ساخرا أو شعرا أو غير ذلك يحقق نسب مبيعات عالية، خاصة كتاب الأدب الساخر أمثال: عمر طاهر، وغادة عبد العال، ومحمد فتحي، وغيرهم كثير. وقالت ذات المصادر لنا إن 75% من مبيعات دور النشر هي للأدب الساخر العامي، وهو أمر رد في الأساس إلى فئة الشباب التي تفضل قراءة هذا النوع من الأدب السهل والخفيف، كما أن إذاعة مسلسل "عايزة اتجوز" ساهم بشكل كبير في زيادة مبيعات كتاب "غادة عبد العال" الذي يحمل ذات الاسم، وهو نفس الحال مع "عمر طاهر" الذي قدم أعمالا سينمائية ودرامية ساهمت في زيادة شعبية أعماله بين الناس"⁽¹⁰⁾.

ويبدو أن أنصار اللغة العربية قد وجهوا النقد لدور النشر التي تزوج للعامية ولكن السعي إلى الريح يغلب الاستجابة إلى نداء اللغة الفصيحة وأنصارها: " جاء رفض المكتبات المرموقة كالشروق ومدبولي بإعطاء معلومات حول مبيعات كتب العامية، مع مماطلاتهم في الرد على الاتهامات التي وجهت لهم من جانب أكاديميين ونقاد مهتمين بالعربية، وكان مضمون الاتهامات أن هناك حالة من الاستغلال التجاري للعامية على حساب العربية، وهو الأمر الذي يساهم بشكل كبير في اندثار اللغة العربية، أو في مضاعفة الخطر الذي تتعرض له" (11).

وللمروجين للعامية والكتابة بها حجج تتعلق بالحرية الشخصية، وبانتشار العامية بين الناس وسهولة فهمها وقد أورد محمود أبو بكر رد عدد من أهل العربية على حججهم، ومن ذلك رد فاروق شوشة الذي يرى " أن من يقولون إن الكتابة بالعامية حرية شخصية أقول لهم إن هذا حجة لمن لم يتعلم اللغة العربية السليمة والصحيحة، فأى كاتب لا يكتب بالعربية السليمة هو كاتب أمي" (12).

ورد فاروق شوشة دعوى تحقيق الكتب العامية أرباحا نتيجة مبيعاتها الكثيرة بقوله: "تسهم دور النشر بشكل كبير في نشر كتب العامية للاستفادة من تحقيقها لمبيعات عالية، إلا أنه في الوقت نفسه يجب التأكيد على أن أعلى الكتب مبيعا هي الكتب المكتوبة بالعربية الفصحى، مثل كتابات بهاء طاهر وغيره، وعلى سبيل المثال ما زالت أشعار نزار قباني الأكثر مبيعا حتى الآن" (13).

والمشكلة في هذا المجال أن الرأي المعتمد بشأن الأرباح والمبيعات هو للناشرين لا لأنصار العربية المدافعين عنها، ولولا أن تلك الكتب تحقق ربحا مغريا لما أقبل الناشر عليها.

دور النشر والدور المطلوب في خدمة العربية

لغة أي أمة هي وعاء حضارتها، ووسيلة التعبير والتواصل فيها، ووجود أمة ذات شخصية متميزة مرتبط بوجود لغتها، واستهداف اللغة استهداف للأمة في القلب. وواجب حماية اللغة والعناية بها وتمييزها لتواكب العصر، ولتكون أداة التعبير والتفكير والتعليم والتأليف؛ واجب عام يشمل أفراد الأمة ومؤسساتها العامة الخاصة، ويشمل أهل السياسة والتعليم والإعلام والتأليف والنشر .

وللناشرين دور مهم يجب عليهم القيام به في حماية اللغة العربية وتحبيبها إلى الناس، ويمكن أن نجمل ما يمكن أن يقوم به الناشر في هذا المجال في ما يأتي:

١. إعداد ميثاق شرف بالتنسيق مع اتحاد الناشرين العرب تلتزمه دور النشر وتتعهد فيه بخدمة اللغة العربية، والمحافظة عليها، واتخاذ ذلك جزءاً من رسالتها التي تسعى إلى تحقيقها.
٢. تعهد دور النشر بالامتناع عن نشر ما يكتب بالعامية من المؤلفات إلا ما كانت الضرورة تدعو إليه.
٣. التعهد بالحرص على سلامة اللغة في ما تنشره دور النشر من الكتب بتدقيقه لغوياً وجعل الأخطاء في حدها الأدنى إن لم تكن معدومة.
٤. السعي إلى توثيق العلاقة بين دور النشر والجهات المهمة بخدمة اللغة العربية، الساهرة على سلامتها، ومنها: مجامع اللغة العربية ووزارات التربية والتعليم، وذلك بإنجاز مشروعات حية في سلاسل متنوعة تقرب العربية من أبنائها في مختلف الأجيال ولا سيما في مرحلة الطفولة والشباب لتنشأ الأجيال الجديدة على حب العربية والولاء لها، والإحساس بجمالها وقدرتها على مواكبة الحياة الإنسانية.

٥. اتخاذ أساليب متنوعة تسهم في نشر القراءة بين الناس وجعلها عادة متأصلة في النفوس وذلك بالتواصل الدائم مع مؤسسات المجتمع من أسرة ومدرسة وجامعة وذلك من خلال معارض للكتب متنوعة الموضوعات متجددة الأوقات، ومن خلال بيع الكتب بأسعار مناسبة تراعي أحوال الشرائح الاجتماعية المختلفة.

الهوامش والمراجع

١. انظر: صناعة الكتاب من المؤلف إلى الناشر إلى القارئ، داتيس س. سميث، ترجمة د. محمد علي العريان وزميليه،، المكتب المصري الحديث، القاهرة 1970، ص 11 وما بعدها، وانظر: مفهوم النشر والناشر:

http://www.hikmahouse.com/index.php?option=com_content&view=article&id=108:2011-03-09-07-44-04&catid=1:homme-news&Itemid=18

٢. انظر:

<http://www.qurancomplex.org/Display.asp?section=4&l=arb&f=write00009>

٣. انظر عن واقع القراءة في العالم العربي: المتقنون ودور النشر من أسباب العزف عن القراءة - منتديات الهندسة نت.

<http://www.alhandasa.net/forum/showthread.php?t=8711#ixzz1zwkRi9Ni>

وانظر كذلك: www.alghad.com/?news=121076

وانظر: موقع العرب على خارطة القراءة العالمية :

<http://www.arabthought.org>

٤. انظر كتاب: اللغة العربية إلى أين في ظل التعليم باللغة الأجنبية، د. إبراهيم بن أحمد مسلم الحارثي، دار المقاصد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1433 .

٥. هل لدينا صناعة نشر:

<http://www.alarab.com.qa/details.php?docId=103775&issueNo=681&secId=18>

٦. المصدر السابق.

7. http://www.addustour.com/ViewTopic.aspx?ac=%5COpinionAndNotes%5C2012%5C01%5COpinionAndNotes_issue1550_day15_id384160.htm

٨. المصدر السابق.

9. <http://www.onislam.net/arabic/newsanalysis/newsreports/islamic-world/127766-qq-.html>

١٠. المصدر السابق.

١١. المصدر نفسه.

١٢. المصدر نفسه.

١٣. المصدر نفسه.

التعليقات والمناقشات

- د. عودة أبو عودة

قال: إن الجهد المبذول في البحث المقدم ليس جهد المقل وإنما هو جهد الخبير. وضرب مثلاً يؤيد فكرة سرقة الكتب أو انتزاعها من أصحابها، فيقول: كلفت طلبتي في مادة الصوتيات "في كتاب علم اللسان العربي" للدكتور عبدالكريم مجاهد الذي نشرته جامعة القدس المفتوحة، فإذا بالطلاب يأتون بنسخة من دار نشر مصرية، وعندما قارنتها بالنسخة الأصلية وجدتها هي هي نفسها.

- إبراهيم الزقراطي

أشار إلى ندوة أقيمت في الشهر الماضي برئاسة سمو الأمير الحسن وحضوره بعنوان "الشباب وعالم المعرفة"، وقد وعد فيها السيد طلال أبو غزالة بإنشاء خيمة إلكترونية عربية بدلاً عن محركات البحث الأخرى مثل: " google " و" yahoo"، تكون اللغة العربية الفصيحة فيها هي اللغة الأساس، كما وعد بإنشاء موسوعة عربية مثل "الوكبيديا" بلغة عربية سليمة وسهلة ومناسبة للشباب. وفي حديثه عن القرصنة قال: هناك قرصنة إلكترونية على الشبكة وأخرى تصويرية، كتصوير الكتب وبيعها؛ فالكتب تطبع وتصور دون إذن من أحد ودون رقيب ولا حسيب.

- د. سري سبع العيش

اتفقت مع الباحث في قضية شح المكتبات في البيوت والمؤسسات بينما تزدهم الكتب في بعض دور النشر، وتضرب مثلاً على ذلك بإلغاء نقابة الأطباء للمكتبة التي تواجدت فيها منذ أربعين سنة لعدم اتساع المكان، وإلقاء محتوياتها، مع الأسف، في النفايات.

- د. بشار عواد

قال: إن التصحيح اللغوي واجب دور النشر، فعيب على أي دار نشرٍ نَشْر كتاب محرّف لغوياً أو إملائياً أو طباعياً أو غيره؛ كما أننا بحاجة إلى ميثاق شرف من دور النشر تتعهد فيه بعدم السرقة، خاصة أنّ السرقة -اليوم ومع كثرة التقنيات الحديثة- صارت متنوعة وسهلة ومتاحة. والعجب أن الكتاب لا يمر على نشره سنة واحدة حتى تجده بنسخة إلكترونية على الشبكة من غير إذن المؤلف أو الناشر حتى.

- تمام السيد

رأى أنه من الواجب أن تُدفع الكتب المؤلفة - بغض النظر عن مكانة مؤلفيها- إلى مدققي لغة عربية؛ لأن المؤلف قد يغفل عن أمر تقع عليه عين المدقق؛ فيقومه ويصوبه.

- رد د. مأمون جرار

فيما يخص عملية القرصنة رأى أنه حتى المواقع الإلكترونية الدعوية والملتزمة تتعامل بها؛ فتأخذ الكتب وتنشرها دون إذن مؤلفها أو ناشرها.

وتابع قائلاً: كثير من طلبتنا - مع الأسف- يتخرج دون أن يستخرج هوية للمكتبة أصلاً عدا عن أن بعضهم لا يعرف أين تقع المكتبة؛ فهذه مشكلة بيت ومجتمع ووسائل إعلام، والكتاب لدينا لا يجد تسويقاً إعلامياً فيبقى على رفوف المكتبات، كما ينقصنا المعلم المثقف الواعي الذي يربط الطلبة بالمكتبات، خاصة وأن وسائل التكنولوجيا الحديثة تيسر لنا الوصول إلى المعلومة ونحن على مقاعدنا.